« الجرح لا يُساوم »

بقلم رشاد أبو شاور

الجيران يغطون في نومهم يا أمي ، ونحن وحدنا نحدق في عين الوحش الخرافي ، بجراحنا ، وكلما نزفت أكثر ازددنا تحديقا ، فلا تخافي حين يتناهى الى مسامعك انني وقعت بين أيديهم ، أنا أكثر من غيري معرفة بهم ، شممت روائحهم الكريهة وسمعت لكنتهم ، اختبرتهم كثيرا ... كان بودي أن أمنحك سعادة مشاهدتي عريسا ، لكن .. ولم يكن بخلا مني أن لا أطلق لسانك في زغرودة رنانة حين يزف لك الصحب نبأ نجاحي في الجامعة .. لكن .. أنت تعرفين أكثر من غيرك ـ ان الجيران ينامون .. وان التسول مهنة لمن خرج من التاريخ ..

آه يا أمي ، الحب والكراهية ، اندغما معا فما عدت قادرا على التفريق بينهما ..

أتبكين ؟!.. لا .. لا أقدر أن أرى وجهك يبتل بالعذاب .. لا ترجفي البندقية بين يدي .. أرجوك .. أفهمتني اذن .. آه ، الآن أعدك بأنني سأحمل هذا العالم على كفيّ الملتهبتين ، سأحرقه ان لم يفهم ارادتي .. لا غفلة بعد الآن .. حتى للذين ينطقون نفس لغتي ، ان هم لم يكونوا معي .. أترين ؟.. كبر الابن ، وصار رجلا كما تمنى قلبك العذب .. هل سمعت يا أمي بـ (محمود درويش) ؟ أنا عاشق مثله ، القمر والنجوم لي وحدي .. وآخر الليل .. بلى يا أمي .. فمع الفسق تبدأ رحلتنا ، ومن فوهات فولاذنا تزهر الشمس والحجارة .. وتغتسل الارض بندى أحمر تثيله جراحنا .. ومع كل خطوة من خطواتنا يتفجر عرس لا ينتهي .. وتعرفين (محمود حجازي) أيضا ، كم أنت عظيمة يا أمي . تذكرين كل شيء .. يوم رأيت صورته يقف مثل القدر تعلمت أن لا أبتسم ولو كنت فرحا .. وان مكاني غير مقعد الخشب الذي سيقذفني مرتزقا وبائع كلام ..

تسألين عن (سكران سكران) .. هذا الفتى ثمل من تراب الارض .. فغرد أعذب الالحان . لم يبك غير مرة واحدة يوم علم (انهم) قتلوا (جلال كعوش) .. نعم .. نعم يا أمي ..

ـ من لم يمت برصاص اليهود ، مات برصاص غيرهم ..

يا للعار .. عار التنابلة المحشوين بالفش والعفن .. حزيران ، لا .. لا أريد أن أحدثك عنه .. ربما تعرفينه من الجرائد .. أما أنا فلا .. لا أريد أن أحدثك عن حرب فزاعات الطيور .. نحن أشعلناها كما يجب أن تكون .. طبعا .. طبعا .. ضميرهم النذل ، رفض أن يرى الاطفال يكبرون رغم جحيم النار .. لو اننا نموت لسرهم ذلك .. لكن يؤسفنا أن لا تتحقق رغبتهم .. لاننا نأتي باستمرار .. وكل يوم يتضاعف عددنا .. أحيانا يموت بعضنا ، وهذا أمر طبيعي وغير مفاجيء لنا على الاطلاق . وقبل أيام مات صائب ، ومحمد رشاد ، وكودوريه ، والثعلب ، والجمل .. كثيرون فرشوا أجسادهم فوق تراب عشقوه .. أما أنا فما زلت حيا . مرة كدت أقع بين أيديهم لكن الرفاق انقذوني .. كيف حدث ذلك ؟

بعد أن تهدمت الكرامة ، وهجرتها الطمأنينة والحياة ، أقمنا في خرائبها .. ووهبها وجودنا معنى خاصا .. ومنها انطلقت مع الرجال .. كانت الارض تلهث وراء أقدامهم النارية .. عبرنا النهر ، وبعد أن ابتعدنا عن ضفته الغربية قليلا ، رأينا احدى سياراتهم المتربصة آتية من جهة « افصايل » . انتظرنا حتى اضحت على مقربة من مرمى نيراننا ، وعندها جعلناها تشتعل مثل حشية القش اذ تضطرم فيها النيران .. وحين عاودنا المسير ، وكان الليل مظلما ، فوجئنا بزخات رصاص رعناء .. وكان الظلام كثيفا ، اتحدت أجسامنا مع الارض .. بعدها لم أعد أعرف ما الذي يحدث .. وجدتني أقفز من مكاني ، ورشاشي يحصد بعنف كل شيء امامي ، أعتقد ان فمي كان يضج باسمك .. وعندما فتحت عيني الفيتهم حولي .. همس أحدهم بحب كبير :

الحروف من رصاص

الى محمود درويش

ستصرخ :
ـ تلك الحروف البليدة !
وتصرخ :
ـ تلك المعاني العتيدة !
ستبصق فيها حنين الهوى
وأنات شاك طواه الجوى
وهذا القوام الذي ينثني
وتلك الجباه التي تنحني
. . . . . الى آخره !

***

وتهتف في صيحة من عذاب :
ـ فأين المعاني تشع البريق ؟
ستسمع صوتا
هناك اذا ما طرقت المدينة
بكلتا يديك
سيظهر في كل بيت
صديق .

ولن تستريح اذا ما دخلت
ولن تحتسي قهوة بالحليب
ولن يحتويك حديث معاد
ولن يتحداك صمت مريب

***

ستلمع في ومضات العيون
معان خفية
وتحت الفراش يشير اليك
« هنا بندقية » !

***

تناجيه في لحظة زوجته
يداها على مرفقيه
فيهمس :
ـ منال .. وداعا
تقول بحزم له :
« لن يكون »
فيبسم في وجهها ـ صاحبك :

« اذن فاللقاء هنا في الصباح »

***

ولن يتأسى يقول « العيال »
ولن يستكين لحكم القدر
ولن يتحدى ظلام الظلام
ببرق الكلام ..
ولن يحتمي في دروب المسير
بكوخ يقيه سيول المطر
ولن يتغنى بحب البقاء
ولن يتغنى بحب الخطر
ولن يستبيح دموع الهزيمة
ولن يدعي انه منتصر
ولكن يدق بصوت الرصاص
أناشيدنا ..
في طريق النضال

الاسكندرية — **مهدي بندق**

ـ لا تخف ، أنت بخير .. اصابة بسيطة ، في الفخذ ..

وحمدت الله على ذلك ، لا خوفا ، ولكن لاني مصر على اتمام الشوط .. سأفعل يا أمي .. لكن ليس الآن.. لا أريد أن يبصر أطفالي النور في خيمة .. أقسم لك لست فظا .. لقد أحببت ابنة الجيران ، وعندما علم والدي ، فرح ، وحاول استغلال الفرصة ليزوجني ، اذ ربما أسكت .

وحين يئس أرضى شعوره الابوي بأن قال : طيش شباب . غدا تعلمه الحياة كيف يقبل بحياة الآخرين ... ولقد ضحكت فتاتي حين أخبرتها بموقف أبي . قالت :
ـ أنا معك حتى النهاية .. نحن نعرف ما نريد .. لن تعيقنا تخاريف العجائز ..

عذبة مثل المطر يا أمي . ناصعة مثل حجارة أرضنا المفسولة بالطل الحلو .. قبلت ورد فمها وأقسمت لها انني سأبقى على العهد .. وسأكمل الشوط .. ماذا تعمل .. معلمة .. تحدث الاطفال عن الزيتون والدور المنتظرة .. وتحكي لهم عن رجال آخر الليل ..

حياك الله يا أمي .. أنت تباركين ميثاقنا .. آه يا رائعة .. ما زال جرحي حيا .. لكنه سيبرأ ذات يوم .. وسنروي للاطفال كم كانت أمنا طيبة وحنونة .. لا .. أبدا .. أشعر انني أعيش الحياة أكثر من أي انسان آخر .. جرحي لا يساوم يا أمي .. لا يخاف .. لا يقتلني .. انه يذكرني .. فقط .. يدفعني .. يمنحني ميزة عن البهائم . الجيران .. سيصيحون ذات يوم .. وسيقذفون بحشيات القش الى النسيان .. أنا لا أقيم في المخيم .. فحيث ترحل أقدامي (معهم) يكون مكاننا.. نحن لا نلبث في مطرح واحد.. رحيل دائم.. انه الشوق المعتق .. لقد بدأنا .. أظنك تعرفين ذلك .. طبعا .. لن ننكفىء .. عيوننا أبدا شاخصة الى الغرب .. الى الغرب يا ملاكي .

رشاد أبو شاور